تفسير سورة المرسلات

وهى مكية

روى البخارى عن عبد الله ـ هو ابن مسعود ـ قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ فى غار بمنى، إذ نزلت عليه : ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ ﴾ ، فإنه ليتلوها وإنى لأتلقاها من فيه ، وإن فاه لرطب بها ، إذ وثبت علينا حيَّة ، فقال النبى ﷺ : « اقتلوها » . فابتدرناها فذهبت ، فقال النبى ﷺ : «وُقِيَتْ شركم كما وُقِيتُم شرَّها». وأخرجه مسلم[1]. وعن ابن عباس: أن أم الفضل سمعته يقرأ: ﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴾ ، فقالت : يا بنى ، ذكَّرتنى بقراءتك هذه السورة ، إنها لآخر ما سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقرأ بها فى المغرب . أخرجاه فى الصحيحين[2] .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ۝ فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا ۝ وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ۝ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا ۝ فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ۝ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ۝ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ۝ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ۝ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ۝ ﴾

عن أبى هُرَيرة : ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴾ قال : الملائكة . ورُوى عن مسروق ،وأبى الضحى ، ومجاهد ـ فى إحدى الروايات ـ والسُّدى ، والربيع بن أنس ، مثلُ ذلك . ورُوىَ عن أبى صالح أنه قال: هى الرسل. وفى رواية عنه : هى الملائكة. وهكذا قال أبو صالح فى ﴿ الْعَاصِفَاتِ ﴾ و﴿النَّاشِرَاتِ ﴾ و﴿ الْفَارِقَاتِ ﴾ و ﴿ الْمُلْقِيَاتِ ﴾ : أنها الملائكة .

قال ابن مسعود عن ﴿ الْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا ﴾ قال : الريح . وكذا قال فى : ﴿ الْعَاصِفَاتِ عَصْفًا . وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا﴾ : إنها الريح . وكذا قال ابن عباس ، ومجاهد ، وقتادة ، وأبو صالح ـ فى رواية عنه ـ وعن أبى صالح: أن الناشرات نشرا : المطر . والأظهر أن : ﴿ الْمُرْسَلَاتِ ﴾ هى الرياح ، كما قال تعالى: ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ﴾ [الحجر: ٢٢]، وقال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ ﴾ [الأعراف:٥٧] ، وهكذا العاصفات هى : الرياح ، يقال : عصفت الريح إذا هبَّت بتصويت ، وكذا الناشرات هى : الرياح التى تنشر السحاب فى آفاق السماء ،كما يشاء الرب عز وجل .

وقوله : ﴿ فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا. فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا . عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾ يعنى : الملائكة . قاله ابن مسعود ، وابن عباس ، ومسروق ، ومجاهد . ولا خلاف هاهنا ؛ فإنها تنزل بأمر الله على الرسل ، تفرق بين الحق والباطل ، والهدى والغىّ ، والحلال والحرام ، وتلقى إلى الرسل وحيا فيه إعذار إلى الخلق ، وإنذارٌ لهم عقابَ الله إن خالفوا أمره . وقوله : ﴿ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ﴾ : هذا هو المقسم عليه بهذه الأقسام ، أى : ما وعدتم به من قيام الساعة ، والنفخ فى الصور ، وبعث الأجساد ،وجمع الأولين والآخرين فى

(١) البخارى (١٨٣٠) ومسلم (٢٢٣٤ / ١٣٧) . (٢) البخارى (٧٦٣) ومسلم (٤٦٢/ ١٧٣) .

صعيد واحد ، ومجازاة كل عامل بعمله ، إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، إن هذا كله ﴿ لَوَاقِعٌ ﴾ أى : لكائن لا محالة .

ثم قال: ﴿ فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ ﴾ أى : ذهب ضوؤها ، كقوله: ﴿ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴾ [التكوير:٢] ، وكقوله : ﴿ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴾ [الانفطار:٢] . ﴿ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ ﴾ أى: انفطرت وانشقت ، وتدلت ارجاؤها ، ووَهَت أطرافها . ﴿ وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴾ أى : ذُهب بها ، فلا يبقى لها عين ولا أثر، كقوله: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا. فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا . لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴾ [طه:١٠٥ـ١٠٧] ، وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٤٧] .

وقوله : ﴿ وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴾ قال العوفى ، عن ابن عباس : جمعت . وقال ابن زيد : وهذه كقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ ﴾ [المائدة:١٠٩]. وقال مجاهد : ﴿ أُقِّتَتْ ﴾ : أجلت. ثم قال: ﴿ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ. لِيَوْمِ الْفَصْلِ . وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ : يقول تعالى : لأى يوم أجلت الرسل وأرجئ امرها ؟ حتى تقوم الساعة ، كما قال تعالى : ﴿ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ. يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [إبراهيم:٤٧،٤٨] . وهو يوم الفصل ، كما قال: ﴿ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ﴾ . ثم قال تعالى معظما لشانه : ﴿ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ أى : ويل لهم من عذاب الله غدا .

﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ۝ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ۝ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ۝ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ۝ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا ۝ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ۝ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ ﴾

يقول تعالى: ﴿ أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴾ ؟ يعنى: من المكذبين للرسل المخالفين لما جاؤوهم به، ﴿ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴾ أى: ممن أشبههم؛ولهذا قال: ﴿ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ . ثم قال ممتنا على خلقه ومحتجا على الإعادة بالبداءة : ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴾ ؟ أى : ضعيف حقير بالنسبة إلى قُدرة البارى عز وجل ، ﴿ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴾ يعنى : جمعناه فى الرَّحِم ، وهو قرار الماء من الرجل والمراة، والرحم معد لذلك ، حافظ لما أودع فيه من الماء . وقوله: ﴿ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ يعنى: إلى مدة معينة من ستة أشهر أو تسعة أشهر؛ولهذا قال : ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ . وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ .

ثم قال : ﴿ أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا. أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴾ قال ابن عباس : ﴿ كِفَاتًا ﴾ : كنّا. وقال مجاهد: يُكَفِتُ الميت فلا يُرَى منه شىء . وقال الشعبى : بطنها لأمواتكم ،وظهرها لأحيائكم . وكذا قال مجاهد وقتادة. ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ ﴾ يعنى: الجبال، أرسى بها الأرض لئلا تميد وتضطرب. ﴿ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴾ : عذبا زُلالا من السحاب ، أو مما انبعه الله من عيون الأرض . ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴾ أى: ويل لمن تأمل هذه المخلوقات الدالة على عظمة خالقها ، ثم بعد هذا يستمر على تكذيبه وكفره

﴿ انطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝ انطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٍ ۝ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ۝ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۝ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ۝ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ۝ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ۝ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝ ﴾

يقول تعالى مخبرا عن الكفار المكذبين بالمعاد والجزاء والجنة والنار ، أنهم يقال لهم يوم القيامة : ﴿انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون . انطلقوا إلى ظل ذى ثلاث شعب ﴾ يعنى : لَهَبَ النار إذا ارتفع وصَعِدَ معه دخان، فمن شدته وقوته أن له ثلاث شعب ، ﴿ لا ظليل ولا يغنى من اللهب ﴾ أى : ظل الدخان المقابل للهب لا ظليل هو فى نفسه ، ولا يغنى من اللهب ، يعنى : ولا يقيهم حر اللهب .

وقوله : ﴿ إنها ترمى بشرر كالقصر ﴾ أى : يتطاير الشرر من لهبها كالقصر . قال ابن مسعود: كالحصون. وقال ابن عباس وقتادة ، ومجاهد ،وغيرهم: يعنى أصول الشجر. ﴿ كأنه جمالات [1] صفر ﴾ أى: كالإبل السود. قاله مجاهد، والحسن، وقتادة ، واختاره ابن جرير. وعن ابن عباس ، ومجاهد، وسعيد بن جبير: ﴿ جمالات صفر ﴾ يعنى: حبال السفن. وعنه ـ أعنى ابن عباس: ﴿ جمالات صفر ﴾ : قطع نحاس . وروى البخارى عن عبد الرحمن بن عابس قال : سمعت ابن عباس : ﴿ إنها ترمى بشرر كالقصر ﴾ قال: كنا نعمد إلى الخشبة ثلاثة أذرع وفوق ذلك ، فنرفعه للشتاء [2]، فنسميه القَصرَ ،﴿ كأنه جمالات صفر ﴾ : حبال السفن ، تجمع حتى تكون كأوساط الرجال [3]،﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ .

ثم قال تعالى : ﴿ هذا يوم لا ينطقون ﴾ أى: لا يتكلمون ﴿ ولا يؤذن لهم فيعتذرون ﴾ أى: لا يقدرون على الكلام،ولا يؤذن لهم فيه ليعتذروا ، بل قد قامت عليهم الحجة ،ووقع القولُ عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون. وعرصات القيامة حالات،والرب تعالى يخبر عن هذه الحالة تارة،وعن هذه الحالة تارة؛ ليدل على شدّة الأهوال والزلازل يومئذ. ولهذا يقول بعد كل فصل من هذا الكلام:﴿ويل يومئذ للمكذبين ﴾ .

وقوله : ﴿ هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين . فإن كان لكم كيد فكيدون ﴾ : وهذه مخاطبة من الخالق لعباده يقول لهم : ﴿ هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين ﴾ يعنى : أنه جمعهم بقدرته فى صعيد واحد ، يُسمعُهم الداعى وينفُذُهم البصر . ﴿ فإن كان لكم كيد فكيدون ﴾:تهديد شديد ووعيد أكيد، أى : إن قدرتم على أن تتخلصوا من قبضتى ،وتَنجُوا من حكمى فافعلوا ، فإنكم لا تقدرون على ذلك ، كما قال تعالى : ﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ﴾ [الرحمن:٣٣] ، وقال تعالى: ﴿ ولا تضرونه شيئا ﴾ [هود:٥٧] ، وفى الحديث : « يا عبادى ، إنكم لن تبلُغوا نَفْعى فتنفعونى ، ولن تبلغوا ضرى فتضرونى » [4].

﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ۝ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝

(١) في « جمالات » : قراءة الجمهور ، وكذا هي قراءة الحافظ ابن كثير .
(٢) في المطبوعة والمخطوطة : « للبناء » والمثبت من البخارى .
(٣) البخارى (٤٩٣٣) .
(٤) الترمذى (٢٥١٦) وقال : « حسن صحيح » .

﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤١﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٥﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾

يقول تعالى مخبراً عن عباده المتقين الذين عبدوه بأداء الواجبات ، وترك المحرمات : أنهم يوم القيامة يكونون في جنات وعيون، أي: بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه ، من ظل اليحموم ، وهو الدخان الأسود المنتن . ﴿ وفواكه مما يشتهون ﴾ أي : ومن سائر أنواع الثمار ، مهما طلبوا وجدوا ﴿ كُلُوا واشْرَبُوا هنيئا بما كُنتُمْ تعملون ﴾ أي : يقال لهم ذلك على سبيل الإحسان إليهم . ثم قال تعالى مخبراً خبراً مستأنفاً: ﴿ إنا كذلك نجزي المحسنين ﴾ أي : هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل ، ﴿ ويلٌ يومئذ للمكذبين ﴾ .

وقوله : ﴿ كُلُوا وتمتعوا قليلاً إنكم مُجرمُونَ ﴾ : خطاب للمكذبين بيوم الدين ، وأمرَهم أمر تهديد ووعيد فقال تعالى : ﴿ كُلُوا وتمتَّعُوا قَليلاً ﴾ أي : مدة قليلة قريبة قصيرة ، ﴿ إنَّكُم مُجرِمُون ﴾ أي : ثم تساقون إلى نار جهنم التي تقدم ذكرها ، ﴿ ويلٌ يومئذ للمكذبين ﴾ ، كما قال تعالى : ﴿نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلاً ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ [لقمان:٢٤] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ .مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس:٦٩، ٧٠] . وقوله : ﴿ وإذا قيل لهم اركعُوا لا يركعُون ﴾ أي : إذا أمر هؤلاء الجهلة من[الكفار] (١) أن يكونوا من المصلين مع الجماعة ، امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه ؛ ولهذا قال : ﴿ ويلٌ يومئذ للمكذبين ﴾ . ثم قال :﴿ فبأيّ حديث بعدهُ يؤمنون ﴾ ؟ أي: إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن، فبأي كلام يؤمنون به؟! كقوله تعالى: ﴿ فبأيّ حديث بعد الله وآياته يؤمنون ﴾ [الجاثية:٦].

(١) سقطت من المطبوعة ، وأثبتناها من المخطوطة .